Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلدان التى يبنونها إلى خطط لكل قبيلة خطة ، ومن ناحية انهارها الكثيرة فقد شك فى عددها ابن حوقل ، فزارها وشاهد العدد الضخم منها ويقول « فربما رأيتُ فى مقدار رمية سهم عددا من الأنهارِ صِغَار تجرى فى كليها زوارق صغار ولكل نهر اسم ينسب إلى صاحبه الذى احتفره أو إلى الناحية التى يصب فيها » ثم يقول « ولها نخيل متصلة من عبدس الى عبادان نيفا وخمسين فرسخا متصلة ، لايكون الانسان بمكان منها إلّا وهو فى نهر من نخيل أو يكون بحيث يراها » .

وكثرت فيها المتنزهات والعمائر والمساجد ، وكفى بمربدها شهرة ، ذاك الذى دخل تاريخ الأدب العربى ، فقد كانَ المربد مكانا لالتقاء جرير والفرزدق والأخطل والراعى وعمر بن لجأ وغيرهم يتناطحون ويتنابذون ويتهاجون ، أما حين زالت الأموية أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن أعرابه اللغة وغريبها والأدب وعجائبه ، فيخرج إلى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما كما يخرج اللغويون يأخذون مايأخذه الشعراء وأكثر ، ويدونون مايسمعون ، يحكى القالى أن الأصمعى قال : جئت أبا عمرو بن العلاء ، فقال : من أين أقبلت ياأصمعى ؟ قلت جئت من المربد قال : هات مامعك . فقرأت عليه ماكتبت فى أَلْواحى ، فمرت ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو الدرج ، وقال : شَمَّرْتَ فى الغريب : أى عليتنى[1] .

فالنهضة التى نهضتها العلوم والفنون ، وحركة الترجمة والتأليف الكبرى وتشجيع الخلفاء والعلماء واندفاع الأفراد إلى الثقافة والعلم وهم يرتشفون من مناهلها سواء فى المساجد أم فى القصور الخاصة أم المكلية أو المتنزهات ـــ كل هذه الينابيع أثرت فى بيئة البصرة فخرج منها العلماء والشعراء والكتاب والفقهاء والمحدثون . وعاشت معارك فكرية رائعة فى داخلها وفى خارجها .

واكتظت مجالس العلماء بالمربد وازدحمت المساجد بالحلقات الدراسية وانتشرت الندوات والمحاورات والمناظرات حتى لقد أصبح للمناظرة شهوة تسيطر على بعض الأفراد لايستطيع منها فكاكا .

---

(١) القالى : الأمالى (٢٨٥/٣) بولاق ـــ القاهرة ١٣٢٤هـ